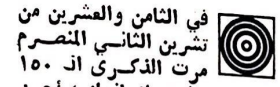


# لم يكن معاملاً للطبقة العاملة وحسب سبل وكان من أبرز مناضليها



في الثامن والعشرين من تشرين الثاني المنصرم مرت الذكرى الـ ١٥٠ على ميلاد فردريك أنجلز ، أحد مؤسسي الاشتراكية العلمية والرفيق الحميم لكارل ماركس ، والذي يعتبر علما من اعلام الفكر العلمي والنظرية الثورية .

كان أنجاز مناضلا حقيقيا ، إذ اكتشف بؤس الطبقة العاملة فأنحاز اليها تاركاً مييزات البورجوازية وامتيازاتها ، ومقترنا بمقدرة الطبقة الصاعدة فأعطاها من فكره وغرقه وجهده كثيرا ، حتى غدى فردريك أنجلز المعلم الثاني للطبقة العاملة بعد كارل ماركس .

لقد كان الفراق الكبير بين أنجلز والبورجوازية ابان انتقاله عام ١٨٤٢ الى مانسترت التي كانت حينئذ عاصمة الصناعة البريطانية التي نعد أذرعها الى اغلب بلدان الارض . وفيما كانت جماهير العمال الفقرة تسير تحت سحب الدخان السوداء في جو بريطاني رطب مليء بالمفونة والظلمة والانسداد ، كان أنجلز يراجع في ذهنه هذه الظاهرة القريبة حيث يشقى ملايين الكادحين ويسعد على حسابهم نغم من رجال المال والمصانع والبنوك . ومن هنا فقد اختار أنجلز حياة الطبقة العاملة وسعادتها عبر اللقاءات اليومية مع هذه الشريحة الاجتماعية التي كانت تعمل يوميا من ١٤ - ١٦ ساعة لتحصل على حالة الكفاف اليومي بالكاد .

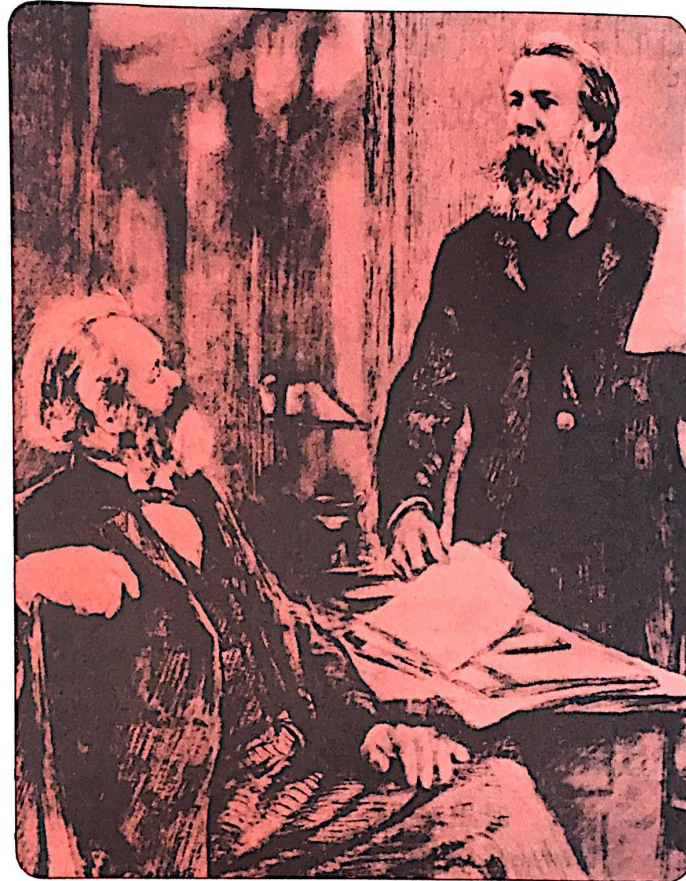
غير ان قبول أنجلز لحياة الطبقة العاملة لم يكن كقبول أولئك المثقفين للارتباط بالطبقة العاملة ، ذلك الارتباط الذي يتخذ شكل « العطف » على الطبقة العاملة وعدم الولوج الى ميدان النضال الثوري . لذلك نجد أنجلز ينفذ على الضد من هذه الارتباطات الكلاسيكية ، فعمل على تأميم حياته كلها لصالح النضال العمالي والقضية البروليتارية .

وبعد ثلاث سنوات من اقامته في مانسترت ، وعندما كان في الثالثة والعشرين من عمره ، أصدر كتابه الاول « حالة الطبقة الكادحة في انكلترا » الذي اعتبر فيما بعد وثيقة اداة كاملة للسلطة الرأسمالية . ويمكن القول بكل ثقة انه لا قبل عام ١٨٤٥ ولا بعده ، ان ظهر كتاب بهذا الصدق يضاهي كتاب أنجلز المذكور ، الامر الذي حدى بلينين ان يقول عنه انه « اول من قال ان البروليتاريا ليست فقط الطبقة التي تتألم ، بل ان الحالة الاقتصادية الخزيبة التي تعانيها البروليتاريا هي التي تدفع بها الى الامام دفعا لا يرد ، وتحفزها الى النضال في سبيل تحريرها النهائي » .

وكأي ماركسي ثوري ، كان أنجلز يمتلك خصال الثوريين وتقاليد التقدميين ورغبتهم في تغيير العالم تغيرا ثوريا ، لذلك كان مستقيماً السلوك ، يقرن النظرية بالممارسة الاجتماعية ، ويتعلم من جماهير الطبقة العاملة خلال نضالاتها الطويلة والمقصودة ، ويبعد صياغة تلك النضالات

الصدقات والعلاقات الشخصية ينبغي ان تأخذ انسانيته من خلال توظيفها لصالح الجري العام للحركة الثورية . وهكذا فانه من خلال هذا الطرح عزز أنجلز قدرات ماركس المادية ، وكان له نصم الرفيق والصدق ، بينما كان عملهما في ميادين البحث الثوري يزداد ويتعمق ويتوسع كلما مر يوم واحد على هذه

الطبقة ليؤكد من جديد ان الطبقة العاملة هي التي تقود حركة التاريخ الى امام ، وهي الطبقة الصاعدة والتي ستفرض سلطتها الثورية وتفوض حكم الدولة البورجوازية القائمة على الظلم والقمع والاستعباد والاستغلال . لقد كان أنجلز في كل كتاباته ونضالاته اليومية يجسد تجسيدا حيا وحدة الفكر والعمل



التثويرين . ان اكثر حياة أنجلز غنى كانت تلك الفترة التي ارتبط فيها بكارل ماركس . ولم يكن عام ١٨٤٤ حدثا شخصيا انشاء لقائه بماركس في مدينة بروكسل ، بل كان لقاء تاريخيا هاما اتخذ صبغة العمل المشترك ، العمل الثوري المشترك ، للتعاون المبدع قرابة اربعين عاما حتى وفاة كارل ماركس .

لقد قال لينين عن هذه الصداقة الكفاحية : « ان الاساطير القديمة تروي امثلة مؤثرة عن الصداقة . وبوسع البروليتاريا ان تقول ان علما قد خلقه عالمان ومناضلان تفوق علاقتهما الشخصية على ما ترويه اساطير الاقدمين المبالغة الاثر عن الصداقة بين الناس » .

ان هذا هو بالضبط ما يمكن ان يقال فيه انه في عرف المناضل الثوري حتى

الصداقة الرائعة . ومن خلال هذا كله انجز ماركس وأنجلز الفصل الكتابات الثورية ائند ، فكان ثمة كتاب « العائلة المقدسة » وكتاب « الايديولوجية الالمانية » ، ويصير هذا الاخير صياغة مميزة لفلسفة الطبقة العاملة واسبس المادية الديالكتيكية والتاريخية . ليس هذا فقط بل ان أنجلز ساهم مع ماركس مساهمة جيدة في اعداد واصدار « البيان الشيوعي » ذائع الصيت . ورغم ان هذه النتاجات الثورية تصد مفخرة من مفاخر أنجلز ، الا ان مشاركته الجدية في انجاز الجزئين الاخيرين ، الثاني والثالث ، من كتاب « رأس المال » تعد اعظم مساهمة جديدة في تحليل المجتمع الرأسمالي وكشفه باعتبار انه قائم اساسا على الاستغلال القدر كدح الطبقة العاملة . وانه ليس غريبا ان يكون

الجزآن المذكوران وكانهما الكلمة الالمانية والعلمية للجزء الاول الذي صاغه وكسبه ماركس ، اذ ان القرب الفكري والتفهم النظري الموحد بين المعلمين ، ماركس وأنجلز ، كان كقبلا بان يجعل الكتاب يكون كما هو الان في امانته الثورية ودفعة العلمية . وعنهما قال لينين : « ان هذين الكتابين من رأس المال هما بالفعل عمل ماركس وأنجلز المشترك » .

لقد كان أنجلز ، كما كان ماركس ، يعتقد ان الطبقة العاملة وهي تتأصل في سبيل تحريرها الاجتماعي ، لا بد لها من اداة تقودها قيادة ثورية وتوصلها الى تحقيق مجتمعها الانساني ، لذلك فقد اسس في بروكسل عام ١٨٤٦ « اللجنة الشيوعية للرسائل » وتبادلا نشرات الرسائل مع عمال فرنسا وانكلترا والبلجيكا ومع اعداد غفيرة من المثقفين الالمان ، وكان لهذا النشاط الجديد اثره الواسع في تصريف الناس على المبادئ الاساسية للاشتراكية العلمية ، فيما عملت مجلاتها مع المثاليين على تقوية النضال ضد الاثارة المضرة بقضية الطبقة العاملة وصرافها ضد البورجوازية الحاكمة .

ونظرا للظروف الموضوعية والتاريخية التي سادت القارة الاوروبية ائند فقد تلقف العمال والثوريون تعاليم ماركس وأنجلز ، تشكلت عام ١٨٤٧ « عصبة الشيوعيين » التي تعد تاريخيا بانها في المنظمة الطبيعية الاولى للطبقة العاملة العالمية .

امتان : هذا ما اكتشفه الصديق المناضل ماركس وأنجلز عندما كانا يسيران تحت الغيوم الشتائية في بريطانيا ذات نوم . وهذا ما دفعهما الى دراسة قرون المجتمع الرأسمالي واظهار تناقضاته وتقديم السلاح الرانع ، النظرية الثورية العلمية ، للطبقة العاملة في سبيل قيادة نفسها وتغيير العالم .

واذا كان أنجلز قد مات عام ١٨٩٥ ولم يشهد انتصارات فكر الطبقة العاملة ، فان هذا الفكر بعد ان اصبح ماركسية القرن العشرين يظهر لينين واللينينية ، فمما يشمله رفعة كبيرة من عالمنا ، فيما توأمل شعوب العالم الثالث خطاها العظيمة .

وللتحاق بفكر الثورة العالمية . ونحن مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الذين نكن امتزازا بالغا لماركس وأنجلز ، والنظرية الماركسية - اللينينية نندرك ان استرشدنا بهذه التركة الثورية نطلب منا دراسة التراث الثوري الذي كتبه ماركس وأنجلز وتطبيقه تطبيقا حيا وخلاقا على ظروف نضالنا التي اعتمدتها الجماهير الكادحة: الكفاح المسلح وحرب الشعب الثورية حتى تحقق التحرير والمجتمع الانساني العادل لانهامنا الذين نعدلوا طويلا جراء تآمرات الامبريالية والصهيونية واسرائيل والرجعية العربية على طموحات شعبنا واماله .

تحية للذكرى الـ ١٥٠ لميلاد أنجلز المعلم الثاني للبروليتاريا العالمية .